من كان يرقص للقريض

مَنْ كَـانَ يَـرْقُـصُ لِلْقَـرِيضِ وَيَنْتَشِي
وَكَأنَّمَـا غُـرَرُ القَـرِيضِ مُـدَامُ !
حُـرٌّ وَيَكْـرَهُ فِي القَـرِيضِ تَمَـرُّداً
وَيَسُـوءُهُ أنْ يُسْتَبَـاحَ نِظَـامُ
أفَّـاقُ عِلْـمٍ لاَيَقَـرُّ قَـرَارُهُ
فِي كُـلّ مُعْتَـرَكٍ لَـهُ إسْهَـامُ
فِي كُـلّ نَـادٍ حَـاضِـرٌ مُتَـأَلِقٌ
وَبِكُـلِ مُعْضِلَـةٍ لَـهُ إلْمَـامُ
يَجْـرِي بِمِلْء عِنَـانِـهِ لَمْ يَنْبُهِـر
فِي حَلْبَـةٍ كَلَّـتْ بِهَـا الأقْـدَامُ
يَلْقَـاكَ فِي الجِلْبَـابِ شَيْخـاً وَهُـوَ فِي
دُنْيَـا الشُيُـوخِ مُـرَاهِقٌ هَمَّـامُ !
أغْنَىٰ بِـوَافِـرِ عِلْمِـهِ أجْيَـالَنَـا
وَالخَـالُـدُونَ حَيَـاتُهُم إنْعَـامُ
وَانْكَـبَّ فِي نَهَـمٍ يُسَـوِّدُ نَفْسَـهُ
حَتَّى تَـأَلَّقَ كَـالصَّبَـاحِ عِصَـامُ !
وهَبَ الطّـرِيـفَ أصَـالَـةً وَحَـدَاثَـةً
كَـالـرَّوْضِ فِيـهِ بَـلاَبِلٌ وَحَمَـامُ

وَحَبَـا العُـرُوبَـةَ حُبَّـهُ وَمَضَىٰ وَفِي
أعْمَـاقِـهِ مِن جُـرْحِهَـا ألآ - مُ
وَنَفَىٰ عَـنِ الإسْـلاَمِ كُلَّ تَصَـوُّرِ
مِن حَـاقِـدِيـنَ فُهُـومُهُم أوْهَـامُ
قَـدْ بَـوَّأتْـهُ يَـدُ المَعَـالِي قِمَّـةً
مَـامِثْلُهَـا لِلْخَـالِـدِينَ وِسَـامُ

* ● *

فَـارَقْـتَ وَالأهْـوَالُ تَـرْكَبُ عَـالمـاً
جَمَحَت بِـهِ النَّـزَوَاتُ وَالأحْـلاَمُ
وَتَنَكَّـرَ الإنْسَـانُ لِلْقِيَمِ التِـي
يَسْمُـو بِهَـا وَتَعَمْلَقَ الأقْـزَامُ
وَفَشَـا بِـهِ الإلْحَـادُ عَبْـرَ حَضَـارَةٍ
رَفَعت بِهَـا هَـامَـاتِهَـا الأصْنَـامُ !
وَدَّعْتَ أحْـوَجَ مَـا نَكُـونُ لِصَـالِحٍ
فِي عَـالَـم صُلَحَـاؤُهُ نِيَّـامُ !
وَخَسَـارَةُ العُلَمَـاء رُزْءٌ فَـادِحٌ
وَجِـرَاحَـةٌ فِي القَلْـبِ لاَتلْتَـامُ
يَتَسَـاءَلُـونَ عَـنِ الشُمُـوسِ إذَا هَـوَتْ
وَكِسَـا الـوُجُـودَ جَهَـامَـةٌ وَقَتَـامُ

هَلْ مِن بَـدِيـلٍ عَنْ سَنَـاهَـا يُـرْتَجَى
أَمْ مِن ضِيَـــاء بَعْـــدَ ذَاكَ يُشَـــامُ ؟
كَمْ مِن أزَاهِـرَ فِي الـرِيَـاضِ بِـلاَ شَـذا
وَكَـــذَا السَّحَـــائِبُ مُغْـــدِقٌ وَجَهَـــامُ
قَـــدْ مَـــاتَ قَبْلَكَ مَعْشَـــرٌ لَمْ يُـــذْكَـــرُوا
وَكَـأنَّهُمُ فِـي الهَـــــالِكِينَ سَـــــوَامُ
وَالـــذِكْـــرُ بَعْـــدَ المَـــوْتِ عُمْـــرٌ لاَحِقٌ
وَالخَـــامِلُـــونَ مَمَـــاتُهُم إعْـــدَامُ
وَمِـنَ النُّجُـــــومِ ثَـــوَابِتٌ لاَتَخْتَفِـي
وَإن اخْتَفَـتَ وَتَـــوَارَتْ الأجْـــرَامُ
وَالنَّـــاسُ أشْبَـــاهٌ وَلَكِنْ بَعْضُهُـمُ
بَـــانٍ، وَآخَـــرُ مِعْـــوَلٌ هَـــدَّامُ !
وَالمَـاءُ مَـاءٌ عَـذْبُـهُ يُـرْوِي الظَّمَـا
وَأجَـــاجُـــهُ لِلْـــوَارِدِيـنَ زُؤَامُ
لَـــوْ كَـانَ يُنْتَـــدَبُ الحِـــدَادُ لِعَـــالِمٍ
نُكِسَت لَـكَ الهَـــامَـــاتُ والأعْـــلاَمُ !

* ● *

خَلُّـوا خَيَـالِي جَـامِحـاً فِي وَصْفِـهِ
لاَتَكْبَحُـــــوهُ فَـإنَّـــــهُ إلْهَـــــامُ

مَـــا العِلْمُ مَـنْ نَبْكِي فَفِي أوْطَـــانِنَـــا
خَيْـــرٌ وَفِـي أبْنَـــائِنَـــا أعْـــلاَمُ
لَكِنَّنَـــــا نَبْكِي التُّقَـىٰ وَنَـــزَاهَـــةً
يَـــزْهُـــو بِهَـــا التَّـــارِيخُ وَالإِسْـــلاَمُ
حَلَفَ الـــزَّمَـــانُ لِيَـــاتِيَـنَّ بِمِثْلِـــهِ
هَيْهَـــاتَ أنْ تَأتِـي بِـــهِ أرْحَـــامُ !
أعَـــزِزٌ عَلَيَّ بِـأن يُـــوسَّـــدَ فِي الثَّـــرَىٰ
رَجُلٌ لَـــــهُ فِـي نَفْسِنَـــا إعْظَـــامُ
لَمْ يُسْلِمُـــوكَ إلَى التُّـــرَابِ سَمَـــاحَـــةً
وَقُلُـــــوبُهُم لَكَ مَـــــرْتَعٌ وَمُقَـــامُ
حَفُّـــوا بِنَعْشِكَ مِثْلَمَـــا عَـــوَّدتهمُ
وَكَمَـــا أحَـــاطَ بِـــدَرْسِكَ الأقْـــوَامُ
وَصَغَـــوْا كَأنَّكَ فَـــوْقَ نَعْشِـكَ وَاعِظٌ
لَمْ يَعْـــرُهُ مِـنْ مَـــوْتِـــهِ إقْحَـــامُ
وَمَشَـــوْا ثِقَـــالاً خُشَّعـــاً أبْصَـــارُهُم
وَلِنَـــارِ فَقْـــدِكَ فِـي القُلُـــوبِ ضِـــرَامُ
صَلَّـــوا عَلَيْـكَ وَلَـــوْ تَخَطَّـــوا دِينَهُم
صَلَّتْ جُمُـــوعُهُمُـــو عَلَيْكَ وَصَـــامُـــوا !
إنْ يَـــرْفَعُـــوكَ أبـــاً عَلَى هَـــامَـــاتِهِمُ
فَكَـــذَاكَ تَصْنَعُ بِـــالأبِ الأيْتَـــامُ !

لاَتَسْتَـــرُوا بِثِيَـــابِكُم جُثْمَـــانَـــهُ
فَطُـــرُوسُـــهُ تُغْنِيـــهِ وَالأقْـــلاَمُ
قَـــدْ كَـــانَ يَعْشَقُهَـــا وَكَـــانَ لَـــهُ بِهَـــا
كَلَـفٌ يُـــؤرِّقُ جَفْنَـــهُ وَهُيَـــامُ
مُـــذْ كَـانَ وَهُـــوَ يَعِيشُ فِي مِحْـرَابِهَـا
وَسِـــوَاهُ مَـــلاَّلٌ لَهَـــا سَـــآمُ
وَاسْقُـــوا ثَـــرَاهُ بِحُبِكُم لاَتَـــذْرِفُـــوا
دَمْعـــاً وَلاَ يَعْصِـفُ بِكُـم تَهْمَـــامُ
فَـــالـدّمْعُ فِـي فَقْـدِ الـرِجَـالِ نَقِيصَـــةٌ
وَالـــزّهْـــدُ فِي آثَـــارِهِم إجْـــرَامُ
يَـــاحَـــامِـــلاً جُثْمَـــانَـــهُ قِفْ سَـــاعَـــةً
فَـــوَرَاءَهُ أرْوَاحُنَـــا حُـــوَّامُ
قُـلْ لِلْحَـــوَادِثِ أفْجِعِـي أوْ رَوِّعِـي
إنْ كَـــانَ خَـــاتِمَـــةَ المَطَـــافِ حِمَـــامُ !
هَـــذِي قَـــوَافِي شَـــاعِـــرٍ مَقْـــرُوحَـــةٌ
فِيهَـــا الأسَى وَالـــدَمْعُ وَالأنْغَـــامُ
يُهْـــدِيكَهَـــا وَالشِعْـــرُ أنْتَ مُجِيـــدُهُ
وَالنثْـــر أنْتَ يَـــرَاعُـــهُ الـــرَّسَّـــامُ
فَعَلَيْـكَ مِمَّنْ مَجَّـــــدُوكَ تَحِيَّـــــةٌ
وَعَلَيْكَ فِـي غُـــرَفِ الجِنَـــانِ سَـــلاَمُ